

الجزء ١١ ت ٢ سنة ١٩٢١ م الموافق غرة ربيع الاول سنة ١٣٤٠ هـ المجلد ١

الاعلام بمعاني الاعلام

٢

ابن قُصي : اسمه زيد وقيل مجمّع اما قصي فهو تصغير قاص اي بعيد وسمي به لانه قصي عن قومه لتزوج امه برجل من عذرة وكانت بلاد عذرة مشارف الشام فحملت معها قصياً لصغره .

والقصي ايضاً البعيد قال تعالى (مكاناً قصياً) فكأنه فعيل بمعنى فاعل وزيد مصدر زاد الشيء يزيد زيداً وزيادة ومزيداً ومزاداً بمعنى النمو قال الشاعر :

وانتم معشر زيد على مائة فاجمعوا كيدكم طراً فكيدوني

سمت العرب زيداً وزيد اللات نسبة الى الصنم المشهور وزياداً ومزيداً وزائدة وهو اسم صنم وسمت ايضاً يزيد بالفعل المضارع .

واما مجمّع فسمي به لأن سدانة الكعبة كانت لخزاعة وكان الدفع من عرفات لقبيلة اسمها صوفة وكانت تجيزهم اذا تفرقوا من منى فاذا كان يوم النفر اتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فاذا فرغوا من منى اخذت صوفة بناحيتي العقبة وحبسوا الناس فقالوا اجيزي صوفة فاذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فلما كان في بعض السنين فعلت صوفة كما كانت تفعل . قد عرفت لها العرب ذلك فهو دين في انفسهم فأتاهم قصي ومن معه من قومه ومن قضاعة فمنعهم وقال : نحن اولى بهذا منكم فقاتلوه وقاتلهم قتالاً شديداً فانهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بايديهم وانحازت عند ذلك

سدنة البيت وبنو بكر وعرفوا انه سيمنعهم كما منع صوفة فلما انحازوا عنه بادأهم فقاتلهم فكثر القتل في الفريقين واجلى خزاعة عن البيت وجمع قصي قومه الى مكة من الشعاب والاودية والجبال فسمي مجمعاً فنزل بعضهم بظواهر مكة فسموا قريش الظواهر وتسمى سائر بطون قريش البطاح عن(ابن الاثير) : والبطاح جمع بطحاء وهي والابطح والبطيحة مسيل الماء الواسع الذي فيه دقاق الحصى . قال في القاموس وقريش البطاح الذين ينزلون بين اخشبي مكة (اي جبليها ابي قُبيس وما يقابله) ومن نزل خارجاً عنها يسمى الظواهر لنزولهم خارج الشعب .

ابن كلاب : كلاب مصدر كالب فلاناً مكالبة وكلاباً ضايقه كمضايقة الكلاب بعضهم بعضاً عند المهارشة . والمكالبة المشارّة والمضايقة . والتكالب التواثب يقال هم يتكالبون على كذا اي يتواثبون عليه فمعنى كلاب هذا المضايقة سموه بذلك لما تقدم من ان العرب تسمي ابناءها لاعدائها وسموا ايضاً بكلب وكليب وليس المراد به هذا الحيوان النابح بل الكلب لغة كل سبع عقور كما في الصحاح ولسان العرب قال في القاموس وغلب على هذا النابح وعلى الاسد اي كما قال ﷺ في ابن ابي لهب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فافترسه الاسد ويطلق الكلب ايضاً على اول زيادة الماء في الوادي كما قال ابن الاثير في النهاية وعلى خشبة يعمد بها الحائط وعلى القد بالكسر وهو السير المقدود من الجلد قال في التاج ومنه رجل مكلّب اي مشدود بالقد قال طفيل الغنوي :

فباء بقتلانا من القوم مثلهم وما لا يعد من اسير مكلب

وقيل مكلب مقلوب مكبل ومن معاني الكلب ايضاً طرف الاكمة والمسمار في قائم السيف وجبل باليمامة ذكره ابن سيده والخط الذي في وسط ظهر الفرس وحديدة في طرف الرحل يعلق فيها الزاد والادوات كالكلّاب بالفتح والكلّوب ويطلق ايضاً على ذؤابة السيف وكل ما اوثق به شيء فهو كلب لانه يعقله اي يحبسه كما يعقل الكلب من علقه كذا في القاموس وشرحه والكلّاب صاحب الكلاب والكليب جمع الكلاب يقال كليب وكلاب والكلَب محركة داء يصيب الناس والابل شبيه بالجنون وكانت العرب في الجاهلية اذا اصاب الرجل الكلب قطروا

له دم رجل من بني ماء السماء فيسقاه فكان يشفى منه قال الشاعر :
دماؤهم من الكلب الشفاء (من ابن دريد)

وأما الكُلاَب فهو موضع بالدهنا بين اليمامة والبصرة كانت فيه وقعتان احداهما بين ملوك كنده الاخوة والاخرى بين بني الحارث وبني تميم يذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب الايام وهما كلابان الكلاب الاول والكلاب الثاني وكلبتا الحداد وغيره معروفة فاذا ثنيت قلت ذاتا كلبتين واذا جمعت قلت ذوات كلبتين (عن ابن دريد) .

ابن مرة : مُرّة اسم شجرة والمرار ايضاً شجر الواحدة مرارة وآكل المرار لقب ملك من ملوك كندة وهو الحارث جد أبي امرىء القيس بن حجر والمر خلاف الحلو والمرة أحد امشاج اخلاط الطبائع للانسان ومرة الانسان قوته قال النبي ﷺ لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي واستمر مرير فلان على كذا وكذا اي جد فيه قال الشاعر : وشط نواها واستمر مريرها

وفي التنزيل حملت حملاً خفيفاً فمرت به وقرأ قوم فاستمرت به أي اشتد عليها ومن ذلك يوم مستمر اي ثقيل شديد والمريرة والمرار والمر حبل يشد به الحمل على البعير وفي العرب قبائل تنسب الى مرة منها مرة بن عوف في غطفان ومرة بن عبيد في بني تميم ومرة في بكر بن وائل ومرة في عبد القيس اهـ مختصراً من ابن دريد .

ابن كعب : الكعب كل مفصل للعظام والعظم الناشز فوق القدم والعظمان الناشزان من جانبيها وما بين الانبوبين من القصب والكتلة من السمن وقدر صبة من اللبن (وهي ما يصب من طعام وغيره) والشرف والمجد كذا يفهم من القاموس وقال ابن دريد الكعب مشتق من شيئين اما من كعب الانسان والدابة او كعب القناة وجمع كعب القناة كعوب في الاكثر وكعب الانسان جمعه كعاب وكعبت الثوب اذا طويته طياً مربعاً وسميت الكعبة لتربيعها والكعب أيضاً بقية السمن في النحي او الرُّب الذي يبقى في أسفل النحي قال عمرو بن معدي كرب لعمر بن الخطاب : ألبرام بنو مخزوم . قال وكيف ذاك قال : ضفتهم فاطعموني ثوراً وقوساً وكعباً فقال عمر أطيب بذاك والثور القطعة من الاقط والقوس باقي التمر في أسفل الجلة[1] والكعب ما ذكرته لك اهـ .

(١) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر .

ابن لؤي : قال ابن دريد اشتقاقه من أشياء اما تصغير لواء الجيش وهو ممدود او تصغير لوى الرمل (وهو ما التوى منه او منعطفه) وهو مقصور او تصغير لأى مثل لعا وهو الثور الوحشي وهو مقصور مهموز واللوى اعرجاج في ظهر الفرس والوجع الذي يعتري البطن مقسور غير مهموز وتقول لويت الرجل دينه الويه ليا وليانا اذا مطلته وفي الحديث ليُّ الواجد ظلم اي مطله قال الشاعر :

تطيلين ليـــاني وانت ملية واحسن يا ذات الوشاح التقاضيا

وتقول لويت الحبل الويه ليا واللويُّ العشب اذا هاج واصفر ويبس واللوية تحفة تذخرها المرأة لزوجها او ولدها (اه) وفي القاموس ان لأي كالسعي الابطاء والاحتباس والشدة واسم لرجل تصغيره لؤي ومنه لُؤَي بن غالب ولم يرتضه بعض المحققين وقال ان الاعلام لا تنقل من الاعلام وانمـــا تنقل من النكرات والدليل على ذلك ما في التاج من ان لؤيا يهمز ولا يهمز والهمز اشبه قال علي بن حمزة العرب في ذلك مختلفون من جعله من اللأي همزه ومن جعله من لوى الرمل لم يهمزه ا ه فانت ترى ان ادعاء صاحب القاموس انه تصغير لأي اسم الرجل في غير محله لنطق العرب به غير مهموز .

ابن غالب : غالب فاعل من قولهم غلب يغلب غلباً فهو غالب ويقولون لمن الغلَب ومن قال الغلب سكون اللام فهو لحن ويقولون رجل اغلب بيّن الغلب اذا غلظت عنقه حتى لا يمكنه ان يلتفت وبذلك سمي الاسد اغلب وقد سمت العرب غالباً وغليباً واغلب اه من ابن دريد .

ابن فهر : الفهر الحجر الاماس يملأ الكف او نحوه قال في القاموس ويؤنث وقال ابن دريد وهو مؤنث يدلك على ذلك انهم صغروا فهراً فهيرة وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وفي بعض اللغات ناقة فيهرة اي صلبـــة لا أدري في اي لغة والفُهر بالضم موضع مدراس اليهود اظنه من الدرس وهو الذي يجتمعون فيه للقراءة والدرس وأرض مفهرة كثيرة الافهار اه باختصار .

ابن مالك : اسم فاعل من ملكه يملكه ميلكا مثلث الميم وان اقتصر الجوهري على الكسر فقد نقل فيها الضم والفتح ابن سيده عن اللحياني وملكة بالتحريك ومملكة بضم اللام احتواه قادراً على الاستبداد به وقال الراغب الملك هو التصرف

بالامر والنهي في الجمهور وذلك يختص بالناطقين ولهذا يقال مالك الناس ولا يقال مالك الاشياء وقوله عزوجل مالك يوم الدين تقديره المالك في يوم الدين وذلك لقوله عزوجل لمن الملك اليوم والملك ضربان ملك هو التملك والتولي وملك هو القوة على ذلك تولى او لم يتول فمن الاول قوله عزوجل ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها ومن الثاني قوله عزوجل اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا فجعل النبوة مخصوصة والملك فيهم عاماً فان معنى الملك هنا القوة التي يترشح بها للسياسة الا انه جعلهم كلهم متولين للأمر فذلك مناف للحكمة كما قيل لا خير في كثرة الرؤساء اه من التاج . وقال ابن دريد مالك فاعل من الملك وقد قرىء مَلِك يوم الدين ومالك والمِلك المعروف وهو في لغة ربيعة مَلْك بالسكون والملائكة اصله الهمز لانهم قالوا في واحده مَـلْأك واشتقاقه من المالكة والالوكة وهي الرسالة اه باختصار

ابن النضر : قال في القاموس وشرحه النضر والنضير والنضار والانضر الذهب او الفضة وقد غلب على الذهب ونقل الصاغاني عن السكري النضار ككتاب الذهب والفضة وجمع نضر نضار بالكسر وانضر (كفلس وافلس) والنضار بالضم الجوهر الخالص من التبر وقدح نضار اتخذ من نضار الخشب والنضر بن كنانة ابو قريش اه مختصراً . وقال ابن دريد النضر وهو ابو قريش فمن لم يكن من ولد النضر فليس بقرشي (اي بل يقال له كِناني نسبة الى كنانة) والنضر الذهب بعينه والنضار الخالص من كل شيء وربما سموا الذهب أيضاً نضاراً . والنضير قبيلة من اليهود اخوة بني قريظة وقد سمت العرب نضراً ونُضيراً بالتصغير (وهو اخو النضر المذكور) ونُضيرة ونضيرة اسم امرأة وكل شيء استحسن فهو نضير يقال ماانضر لونه اي ما اصفاه واحسنه اه واقول ان قولهم نضر ابو قريش ليس متفقاً عليه بل صحح الزين العراقي ان ابا قريش فهر فقال في الفيته في مصطلح الحديث :

اما قريش فالاصح فهر ⁂ جماعها والاكثرون النضر

ابن كنانة : الكنانة كنانة النبل . اذا كانت من ادم (اي جلد) فهي كنانة فان كانت من خشب فهي جفير وان كانت من قطعتين مقرونتين فهي قرَن بفتح الراء والكنانة يجمع هذا كله وكِنان كل شيء غطاؤه ويقال كننت الدر وغيره

اذا سترته وغطيته وفي القرآن العظيم كانهن بيض مكنون فهذا من كننت واكننت الحديث في صدري اذا كتمته وفي التنزيل وربك يعلم ما تكن صدورهم فهذا من اكننت والكنة بالضم مخدع في البيت شبيه بالرف او نحوه وكنة الرجل بالفتح امرأة ابنه او اخيه وكن كل شيء ما اكتننت في ظله يقال اكتننت من المطر بالشجرة تظللت بها من الشمس اه من ابن دريد .

ابن خزيمة : اشتقاقه من الخزم وهو شجر له لحاء (اي قشر) يفتل منه حبال الواحدة خزمة وخزيمة تصغيرها وستأتي تتمة معنى هذه المادة في خازم واخزم.

ابن مدركة : الادراك اللحوق كما في الصحاح يقال مشيت حتى ادركته وعشت حتى ادركت زمانه ورجل مدركة بالهاء سريع الادراك قال ابن الكلبي ولد الياس ابن مضر عمراً وهو مدركة وعامراً وهو طابخة وعميراً وهو قمعة وامهم خندف كزبرج وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وكان الياس خرج في نجعة له فنفرت ابله من ارنب فخرج اليها عمرو فأدركها فسمي مدركة وخرج عامر فتصيد الارانب وطبخها فسمي طابخة وانقمع عمير في الخباء فسمي قمعة وخرجت امهم تسرع فقال لها الياس اين تخندفين فقالت مازلت اخندف اي اسرع في اثركم فلقبوا هي وهم بهذه الالقاب كذا في القاموس وشرحه .

ابن الياس : قال ابن دريد يمكن ان يكون اشتقاق الياس من قولهم يئس ييئس يأساً ثم ادخلوا عليه الالف واللام فقالوا اليأس ويمكن ان يكون من قولهم رجل أليس من قوم ليس اي شجاع وهو غاية مايوصف به الشجاع هذا لمن يهمز إلياس والتفسير الاول احب الي" اه وقال في القاموس الياس بن مضر اول من اصابه اليأس محركة اي السل اه (فسمي به لذلك). واسم الياس النبي عبراني معناه (الرب الهي)

ابن مضر : من مضر اللبن او النبيذ يمضر مضراً ويحرك ومضوراً كنصر وفرح وكرم حمض وابيض ولبن ماضر حامض ومضارة اللبن بالضم ماسال منه اذا حمض وصفا ومضر بن نزار كزفر سمي به لولعه بشرب اللبن الماضر او لبياض لونه وتماضر بالضم بنت عمرو بن الشريد الملقبة بالخنساء مشتقة من هذه الاشياء وقال ابن دريد احسبه من اللبن الماضر كذا في القاموس وشرحه .

ابن نزار : من النزر وهو القليل من كل شيء كالنزير والمنزور ونزُر ككرم نزارا بالفتح ونزارة ونزورة ونزوراقل ونزار ككتاب ابن معد بن عدنان قال في الروض الأنف سمي به لان اباه لما ولد وله نظر الى نور النبوة بين عينيه وهو النور الذي كان ينقل في الاصلاب الى محمد ﷺ ففرح فرحاً شديداً ونحر واطعم وقال ان هذا كله النزر في حق هذا المولود فسمي نزاراً لذلك (من شرح القاموس باختصار).

ابن مَعَد : قال ابن دريد اشتقاقه من شيئين اما ان يكون مفعل من العدد فكأنه كان مَعدَد فادغمت الدال واما ان يكون من المعد وهو اللحم في مرجع كتف الفرس قال الشاعر : فامازال مرج عن معد واجدر بالحوادث ان تكونا «وجواب اما قوله : فلاتصلي بطروق اذا ما سرى في القوم اصبح مستكينا

يقول « اذا زال عنك مرجي فبنت بطلاق او موت فلا تتزوجي بعدي بمن هذه صفته » .

والتمعدد تمام الشدة والقوة قال الراجز :

ربيته حتى اذا تمعددا وصار نهداً كالحصان اجردا
كان جزائي بالعصا ان أطردا

والمعدة من هذا اشتقاقها لصلابتها وسمت العرب معيداً ومعددا ومعدان واحسب اشتقاقه من المعد والمعد الصلابة ا هـ باختصار وقال في القاموس وشرحه والمعدُّ كمرَدّ الجنب من الانسان وغيره والبطن واللحم الذي تحت الكتف وموضع عقب الفارس من الدابة او رجله وعرق في مَنسج الفرس والمعدان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه ومَعدٌ حيٌّ سمي باحد هذه الاشياء وهو معَدّي في النسب ومنه المثل : تسمع بالمعيدي خير من ان تراه. قال ابن السكيت هو تصغير مَعدّي الا انه اذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خففت ياء النسبة وتمعدد الرجل تزيا بزيهم ومنه حديث عمر الذي رواه الطبراني مرفوعاً الى النبي ﷺ اخشوشنوا وتمعددوا اي تشبهوا بعيش معد بن عدنان وكانوا اهل قشف وغلظ في المعاش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم وتمعدد المريض برىء والمهزول اخذ في السمن ا هـ مختصراً .

ابن عدنان : قال ابن دريد عدنان فعلان من قولهم عدن بالمكان بعدن عدونا

وهو عادن اي مقيم ومنه اشتقاق المعدن لعدون الذهب والفضة وما اشبهها من الجوهر فيه ومنه اشتقاق جنات عدن اي دار مقام وعدن[1] أبين من هذا اشتقاقها لان ابين عدن بها اي اقام بها وهو رجل من حمير ا ه .

وفي القاموس عدن الارض يعدنها عدناً زبلها كعدنها وعدن الشجرة يعدنها عدناً افسدها بالفاس ونحوها والحجر قلعة بالفاس ا ه .

اقول الى هنا انتهى المعروف من نسب النبي ﷺ وعدنان هو الواحد والعشرون من اجداده ﷺ ولم يعد احداً بعدهم وقال كذب النسابون .

حرف الهمزة

(آدم) : ابو البشر ﷺ اسم سرياني معناه الاحمر او الترابي وقد سمت به العرب وممن سمي به آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الذي قتل في الجاهلية ووضع النبي ﷺ دمه يوم فتح مكة فباعتباره سريانياً لا يقال عنه مشتق من اديم الارض او غيره كما قيل لان العربي لا يشتق من العجمي ولا عكسه فان الاشتقاق توليد كما عليه عامة العلماء فمعنى الاشتقاق ان تأخذ من اللفظ ما يناسبه في التركيب فتجعله دالاً على معنى يناسب معناه فان اعتبر فيه الموافقة في الحروف الاصول مع الترتيب كضرب وضارب فيسمى اشتقاقاً اصغر وان كان بدون ترتيب الحروف فصغير نحو جبذ وجذب وان كان لمناسبة بينهما نحو ثلب وثلم فاكبر ويعتبر في الاصغر موافقته في المعنى وفي الاخيرين المناسبة اما لفظ آدم العربي فيصح ان يقال عنه انه مشتق قال ابن دريد اشتقاقه من شيئين اما من قولهم رجل آدم بين الادمة وهي سمرة كدرة او من قولهم ظبي آدم وجمل آدم والآدم من الظباء الطويل القوائم والعنق الناصع بياض البطن المسكي الظهر وهي ظباء السفوح وقد جمعوا آدم الظباء أدمان فاما قول ذي الرمة ادمانة فهو خطأ عند الاصمعي ا ه . سعيد الكرمي

---

(١) عدن ابين قال في القاموس جزيرة باليمن وهو غلط بل هي قصبة بينها وبين عدن المشهورة ثمانية فراسخ كما حققه صاحب التاج .

جباية الشام

في الاسلام

٢

وكذلك كانت سيرة العباسيين بعد فقد اخذ المنصور اموال الناس حتى ماترك عند احد فضلاً وكان مبلغ ما اخذهم ثمانمائة الف الف درهم وعدل ابو جعفر المنصور ارض الغوطة غوطة دمشق فجعل كل ثلاثين مداً بدينار بالقاسمي وكان اداء الناس على ذلك . وكان الخلفاء من بني العباس يعمدون الى ابطال الرسوم عندما يتجلى لهم ضررها ولا يقطعون امراً بدون اخذ آراء جلة الفقهاء في عصرهم فقد امر المعتضد سنة ٢٨٣ بالكتابة الى جميع البلدان ان يرد الفاضل من سهام المواريث الى ذوي الارحام وابطل ديوان المواريث . وخلف المعتضد هذا في بيوت الاموال تسعة آلاف الف دينار ومن الورق الف الف درهم. ومن خلف هذه القناطير المقنطرة من الذهب لا بد له ان يظلم امته وان لا يصرف اموالها في وجوه مصالحها وقد كنت ترى في أيام العباسيين عدلاً شاملاً لا مثيل له حيناً وتجد ظلماً شائناً في دور آخر فعهد الرشيد والمأمون والمهدي والظاهر والمتوكل كان عجباً في العدل وانتظام الجباية فالمهدي مثلاً افتتح امره بالنظر في المظالم وبسط يده في العطاء فاذهب جميع ماخلفه المنصور وهو ستمائة الف الف درهم واربعة عشر الف الف دينار سوى ما جباه في ايامه والمأمون العباسي اقام سنة بدمشق (٢١٤) لمساحة اراضي الشام واجتلب لتعديله مساح العراق والاهواز والري والمهدي اول من نقل الخراج الى المقاسمة[١] وكان السلطان يأخذ عن الغلات خراجاً مقرراً ولا يقاسم وجعل الخراج على النخل والشجر . واعاد الظاهر بامر الله سنة ٦٢٢ سيرة العمرين قال ابن الاثير فلو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً فانه عاد من الاموال المغصوبة في ايام ابيه شيئاً كثيراً واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باعادة الخراج القديم وان يسقط جميع ما جدده ابوه وكان كثيراً لا يحصى وفي ايام ابيه

(١) تاريخ الوزراء للصابي .

خربت العراق وتفرق اهله في البلاد .

خربت العراق وما اليها من الامصار والاقطار للشدة في تقاضي الجباية والتفنن في الضرائب وعدم اطرادها على وتيرة واحدة . كتب[1] علي بن عيسى الى عامل ديار ربيعة وقد ورد الحضرة قوم من اهلها يتظلمون من حيف لحقهم في معاملاتهم: «بسم الله الرحمن الرحيم. في علمك اكرمك الله بما امر الله به من العدل والاحسان ونهى عنه من الجور والعدوان وعاقب به الظالمين في سالف الازمان غنى لك عن التنبيه والتوقيف والوعظ والتخويف وفيما رسمته لك مشافهة ومكاتبة في انكار الظلم وازالته واظهار العدل وافاضته كفاية وبلاغ. وقد ورد الحضرة اكرمك الله جماعة من وجوه التناء والمزارعين بديار ربيعة متظلمين مما عوملوا به في سني ثلث عشرة وثلثمائة من اكراههم على تضمين غِلات بيادرهم بالحزر والتقدير والزامهم حق الاعشار في ضياعهم على التربيع واستخراج الخراج منهم على اوفر عبرة قبل ادراك غلاتهم وثمارهم واكراه وجوههم وتجارهم على ابتياع الغلات السلطانية باسعار مسرفة مجحفة فاقلقني ما افضوا فيه من الشكوى وآلمني ما انتهوا الى وضعه من عظيم البلوى ووجدته مع قبح ذكره وعظيم وزره عائداً بخراب الضياع ونقصان الارتفـــاع فينبغي اكرمك الله ان تجري سائر رعيتك على المعاملات القديمة وتحملهم على الرسوم السليمة حتى يعودوا الى افضل حال عهدوها واجمل سيرة حمدوهـــا وتزيل السنن الجائرة وتبطلها وتقطع اسبابها وتحسمها وتكتب اليّ بما يكون منك في ذلك فانني على اهتمام به ومراعاة له ان شاء الله » .

ولو رجعت الى كتب التاريخ والسير لرأيت شيئاً كثيراً من هذا القبيل وفي الكتاب الذي كتبه الامام ابو يوسف صاحب الامام ابي حنيفة الى الخليفة هرون الرشيد صورة لطيفة من تلطف العلماء في نصح الملوك والخلفاء . وكتابه دستور في الجباية تستدل به على ترقي العقول في عصره . وما خلا عصر من علماء ينعون على العمال اعمالهم وتجانفهم عن طرق الحق في معاملة الامة وقلما كانت المواعظ تفعل الا في المستعدين للخير من الخلفاء فمن دونهم. ذكروا ان الرشيد اخذ العمال[2] والتناء والدهاقين واصحاب الضياع والمبتاعين للغلات والمقبلين وكان عليهم اموال مجتمعة

(١) تاريخ الوزراء للصابي . (٢) تاريخ اليعقوبي .

فطولبوا بصنوف من العذاب فرأى الفضل بن عياض الناس يعذبون في الخراج فقال ارفعوا عنهم اني سمعت رسول الله يقول من عذب الناس في الدنيا عذبه الله يوم القيامة فامر الرشيد بان يرفع العذاب عن الناس فارتفع العذاب من تلك السنة . وكان وقع مثل ذلك في اوائل دولة الامويين بالشام واخذ جباة الجزية يعذبون بعض اهل الذمة ويجعلونهم في الشمس ساعات عقوبة لهم فنهى عن ذلك احد الفقهاء العارفين وبطل تعذيب المكلفين من ذاك اليوم .

زاد الاجحاف بحقوق الرعية لما توزع ملوك الطوائف البلاد واخذ كل مليك او امير يستولي على اقليم صغير من الارض ويجنف على الناس في الجباية ويسمي نفسه ملكاً من ذلك بنو حمدان[1] في حلب وما اليها فانهم كانوا على جانب من البطش والظلم وان مدحهم الشعراء وقامت للادب في ايامهم دولة فقد لجوا في الظلم والاستئثار بالاموال وكانت فتنهم مع الروم لا تنقطع فاستأثر القضاء بهلاك العباد وخراب البلاد على ايدي المدافعين والمهاجمين . ففي خلافة الرضي سنة ٣٢٤ بطلت الدواوين والوزارة فكان كل من تولى امرة الامراء[2] تحمل اليه الاموال فيتصرف فيها جميعاً كما يريد ويطلق للخليفة ما يريد وبطلت بيوت الاموال وكانت الشام اذ ذاك في يد محمد بن طغج . وبينما كانت الشام تدافع القرامطة وتشتغل بفتن بني حمدان لتقع في ايدي الاخشيدية اصحاب مصر كانت بغداد في شغب وتعب واذ كانت هي العاصمة فاحرى بالاطراف ان تكون اسوأ حالاً فقد شغب الجند سنة ٣٣٤ على معز الدولة ابن بويه فضمن لهم ايصال ارزاقهم في مدة ذكرها لهم فاضطر الى ضبط الناس واخذ الاموال من غير وجوهها واقطع قواده واصحاب القرى جميعها التي للسلطان واصحاب الاملاك فبطل لذلك اكثر الدواوين وزالت ايدي العمال وكانت البلاد قد خربت من الاختلاف والغلاء والنهب فاخذ القواد القرى العامرة وزادت عمارتها معهم وتوفر دخلها بسبب الجاه فلم يمكن معز الدولة العود عليهم بذلك واما الاتباع فان الذي اخذوه ازداد خراباً فردوه وطلبوا العوض عنه فعوضوا وترك الاجناد والاهتمام بمسارب القرى وتسوية طرقها فهلكت وبطل الكثير منها واخذ غلمان المقطعين في ظلم الفلاح وتحصيل العاجل فكان احدهم اذا عجز الحاصل تممه بمصادرة القائمين على الاراضي .

---

(١) المسالك والممالك لابن حوقل (٢) الكامل لابن الاثير .

وهكذا اختلت احوال المملكة العربية وطرق الجباية فيها لما نال الناس من المغارم والمظالم والحكومات لا تعرف واجبها ولا تدري ان الجباية في الدولة اجرة الحماية ولذلك تأفف ابو العلاء المعري في النصف الاول من المئة الخامسة من ملوك عصره فقال:

وارى ملوكاً لا تحوط رعية ... فعلام تؤخذ جزية ومكوس

وقال: عجم وعرب دائلون وكلنا ... في الظلم اهل تشابه وجناس

وقال: ارى امراء الناس يسون شرهم ... اذا خطفوا خطف البزاة اللوامع

وفي كل مصر حاكم فموفق ... وطاغ يحابي في اخس المطامع

وقال ايضاً: يقولون في المصر العدول وانما ... حقيقة ما قالوا العدول عن الحق

ولست بمختار لقومي كونهم ... قضاة ولا وضع الشهادة في رق

وقال: بكل ارض امير سوء ... يضرب للناس شر سكة

وقال: ان العراق وان الشام مذ زمن ... صفران ما بهما للملك سلطان

ساس الانام شياطين مسلطة ... في كل مصر من الوالين شيطان

من ليس يحفل خمص الناس كلهم ... ان بات يشرب خمراً وهو مبطان

وقال: وجدت غنائم الاسلام نهباً ... لاصحاب المعازف والملاهي

وقال: مل المقام فكم اعاشر امة ... امرت بغير صلاحها امراؤها

ظلموا الرعية واستباحوا كيدها ... فعدوا مصالحها وهم اجراؤها

ومن قوله: فشأن ملوكهم عزف ونزف ... واصحاب الامور جباة خرج

وهم زعيمهم إنهاب مال ... حرام النهب او إحلال فرج

وبعد فقد استقر خراج فلسطين على عهد معاوية على اربعمائة وخمسين الف دينار واستقر خراج الاردن على مائة وثمانين الف دينار وخراج دمشق على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وخراج جند حمص على ثلثمائة وخمسين الف دينار وخراج قنسرين والعواصم على اربعمائة الف وخمسين الف دينار وفعل معاوية بالشام والجزيرة واليمن مثل ما فعل بالعراق من استصفاء ما كان للملوك من الضياع وتصييرها لنفسه خالصة واقطعها اهل بيته وخاصته وهو اول من كانت له الصوافي في جميع البلاد. قال البلاذري[1] كانت وظيفة الاردن التي اقطعها معاوية مائة الف وثمانين الف

(١) فتوح البلدان .

دينار ووظيفة فلسطين ثلثمائة الف وخمسين ألف دينار ووظيفة دمشق اربعمائة الف دينار ووظيفة حمص مع قنسرين والكور التي كانت تدعى بالعواصم ثمانمائة الف دينار ويقال سبعمائة الف دينار . وكان ارتفاع الشام سنة ٢٠٤ هـ وهي اول سنة وجد حسابها في الدواوين بالحضرة لان الدواوين احرقت في الفتنة فتنة الامين على مارواه قدامة – ثلثمائة الف وستين الف دينار ارتفاع قنسرين والعواصم وارتفاع جند حمص مائتي الف وثمانية عشر الف دينار وارتفاع جند دمشق مائة الف وعشرة آلاف دينار وارتفاع جند الاردن مائة الف وتسعة آلاف دينار وارتفاع جند فسطين مائتي الف وتسعة وخمسين الف دينار .

قال اليعقوبي[1] ان خراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلثمائة الف دينار وخراج جند الاردن يبلغ سوى الضياع مائة الف دينار ويبلغ خراج جند فلسطين مع ما صار في الضياع ثلثمائة الف دينار وخراج حمص سوى الضياع ايضاً مائتي الف وعشرين الف دينار . وكان خراج الاردن زمن عبد الملك بن مروان مائة وثمانين الف دينار وكان خراج قنسرين على عهد المأمون اربعمائة الف دينار ومن الزيت الف حمل وخراج دمشق اربعمائة الف دينار وعشرين الف دينار وخراج الاردن سبعة وتسعين الف دينار وخراج فلسطين ثلثمائة الف دينار وعشرة آلاف دينار ومن الزيت ثلثمائة الف رطل .

ولما تغلب الموالي من الاتراك وتناثر سلك الخلافة وبقيت الدولة العباسية في الترف وقوي عامل كل جهة على مايليه كثرت النفقات وقلت الجبابي بتغلب الولاة على الاطراف قال المقدسي[2] كانت الضرائب ثقيلة على قنسرين والعواصم زمن سيف الدولة بن حمدان فكان خراج هذا الاقليم ثلثمائة الف وستين الف دينار وعلى الاردن مائة الف وسبعون الف دينار وعلى فلسطين مائة الف وتسعة وخمسون الف دينار وعلى دمشق اربعمائة الف ونيف .

وانت ترى ان الجباية في الشام كانت تختلف باختلاف العصور والادوار والتقلبات الجوية ومن الاراضي الخراجية والعشرية التي تدفع العشر لانها مما فتحه المسلمون عنوة قال أبو يوسف كل ارض اقتطعها الامام مما فتحت عنوة ففيها الخراج

(١) تاريخ اليعقوبي (٢) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم .

الا ان يصيرها الامام عشرية والشام في ذلك كمصر والعراق ولانها كلها فتحت عنوة وفي التتارخانية ان السلطان اذا دفع اراضي لا مالك لها وهي التي تسمى الاراضي المملكة الى قوم ليعطوا الخراج جاز وطريق الجواز أحد شيئين اما اقامتهم مقام الملاك في الزراعة واعطاء الخراج او الاجارة بقدر الخراج ويكون المأخوذ منهم خراجاً في حق الامام اجرة في حقهم وقال ابن عابدين ومن هذا القبيل الاراضي المصرية والشامية ويؤخذ من هذا انه لا عشر على المزارعين في بلادنا اذا كانت اراضيهم غير مملوكة لهم لان ما يأخذه منهم نائب السلطان وهو المسمى بالزعيم او التيماري ان كان عشراً فلا شيء عليهم غيره وان كان خراجاً فكذلك.

ولم تكثر الاقطاعات الا في القرون الوسطى قال المقريزي وكانت عادة الخلفاء من بني أمية وبني العباس والفاطميين من لدن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تجبى اموال الخراج ثم تفرق من الديوان في الامراء والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك في صدر الاسلام العطاء وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دولة العجم فغير هذا الرسم وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك وزير السلجوقيين وذلك ان مملكته اتسعت فرأى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل على قدر اقطاعه فعمرت البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين وأربعمائة الى اوائل القرن التاسع.

وكانت اقطاعات الشام اقل من اقطاعات مصر في القرن الثامن والتاسع وليس في الشام من يبلغ شأو اكابر الامراء المقدمين بالديار المصرية الا نائب الشام فانه يقاربهم في ذلك ولخاصة الامراء المقدمين انواع من الانعامات ما عدا المقررات من المشاهرات والاكل والعليق والكساوي كالعقار والابنية الضخمة التي ربما انفق على بعضها فوق مائة الف دينار . قال التاج السبكي المتوفى سنة ٧٧١ : ومن قبائح ديوان الجيش الزامهم الفلاحين بالاقطاعات بالفلاحة والفلاح حر لا يد لآدمي عليه وهو امير نفسه وقد جرت عادة الشام بان من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد الى القرية قهراً ويلزم بشد الفلاحة والحال في غير الشام اشد منه فيها وكل ذلك لا يحل اعتماده

والبلاد تعمر بدون ذلك بل انما تخرب بذلك لانهم يضيقون على الناس .

وماعدا الاراضي التي كان الملوك يوغرونها اي التي يدفع عنها اربابها قدراً من المال مرة واحدة فتعفى من الخراج وما خلا الاقطاعات التي يستأثر بها اصحابها من ارباب الدولة ولا يؤدون عنها خراجاً وعدا ضياع كثيرة تعفى من الضرائب وعدا الصوافي واحدها صافية وهي مايستخلصه السلطان لخاصته او هي الاملاك والاراضي التي جلا عنها اهلها او ماتوا ولا وارث لها ـ ماعدا هذا كان هناك نوع من الاراضي يسمى الجاة اي يلجأ صاحب الارض الى بعض الكبراء فيسجل ضيعته باسمه تعززاً به من عمال الخراج حتى لايجوروا عليه فتصبح الضيعة مع الزمن ملكاً لذاك الكبير .

قال ابن ابي الحديد[1] ان من اهل الخراج من يلجىء بعض ارضه وضياعه الى خاصة الملك وبطانته لاحد امرين اما الامتناع من جور العمال وظلم الولاة وتلك منزلة يظهر بها سوء اثر العمال وضعف الملك واخلاله بما تحت يده واما للدفاع عما يلزمهم من الحق والتيسير له وهذه خلة تفسد بها آداب الرعية وينتقص بها اموال الملك وكان العادلون من الملوك يعاقبون الملتجئين والملجأ اليهم ولكن الناس يلجئون املاكهم عند ارباب الصولة وكم من مرة خربت سورية او صقع كبير من اصقاعها بظلم ظالم من عمالها . ذكروا ان الخليفة الحاكم اعفى ولاية حلب من الخراج سنة ٤٠٧ لانها كانت ضعفت بالفتن المتواصلة . وبالغ الامير حصن الدولة معلى بن حيدرة بن منزو الكتامي الذي ولي دمشق سنة ٤٦١ في المصادرات وارتكاب المظالم فلم يلق اهل البلد من التعجرف والظلم والعسف بعد جيش ابن الصمصامة في ولايته ما لقوه من ظلمه وسوء فعله فخربت اعمال دمشق وجلا عنها أهلها وخلت الاماكن من قاطنيها والغوطة من فلاحيها .

والغالب ان المكوس والضرائب كثرت اواخر حكم العباسيين والعبيديين في الشام فاسقطها صلاح الدين يوسف بن ايوب جملة مثل مكس مكة وعوض اميرها بجلاب غلة تحمل اليه كل سنة وتعيين ضياع موقوفة عليها بالديار المصرية . قال ابن ابي طي : ان الذي اسقطه السلطان صلاح والذي سامح به لعدة سنين آخرها سنة اربع وستين وخمسمائة مبلغه عن نيف الف الف دينار والفي الف اردب سامح

(١) شرح نهج البلاغة .

بذلك وابطله من الدواوين واسقطه من المعاملين وكذلك فعل اخوه ابو بكر ابن ايوب فانه ابطل كثيراً من المظالم والمكوس وطهر بلاده من الفواحش والخمور والقمار وكان الحاصل من ذلك بدمشق خصوصاً مائة الف دينار الا ان المكوس عادت فاحدثت . فقد ذكر المؤرخون ان فخر الدين بن عساكر انكر على الملك المعظم تضمين المكوس والخمور فعاقبه بأن انتزع منه المدرسة التقوية والصلاحية.

ولما دخل صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠ ازال المكوس وكانت الولاية في اهلها قد ساءت واسرفت واليد المتعدية قد امتدت الى اموالهم واجحفت . وكذلك كانت من قبل سيرة نور الدين محمود بن زنكي فانه منع ما كان يؤخذ من دمشق من المغارم بدار البطيخ وسوق الغنم والكيالة وغيرها وكان ينهى اصحابه عن اقتناء الاملاك ويقول مهما كانت البلاد لنا فاي حاجة لكم الى الاملاك فان الاقطاعات تغني عنها وان خرجت البلاد من ايدينا فان الاملاك تذهب معها ومتى صارت الاملاك لاصحاب السلطان ظلموا الرعية وتعدوا عليهم وغصبوهم املاكهم قال ابو يعلى [١] تجمع قوم من السفهاء العوام وعزموا على التحريض لنور الدين على اعادة ما كان ابطل وسامح به اهل دمشق من رسوم البطيخ وعرصة البقل والاثمار وصانهم من اعنات شرار الضمان وصوالة الاجناد وكردوا لسخف عقولهم الخطاب وضمنوا القيام بعشرة آلاف دينار بيض وكتبوا بذلك حتى أجيبوا الى ما راموا وشرعوا في فرضها على ارباب الاملاك من المقدمين والاعيان والرعايا فما اهتدوا الى صواب ولانجح لهم قصد في خطاب ولاجواب وعسفوا الناس بجهلهم بحيث تألموا واكثروا الضجيج والاستغاثة الى نور الدين فصرف همه الى النظر في هذا الامر فنتجت له السعادة وايثار العدل في الرعية الى اعادة ما كان عليه فامر باعادة الرسوم المعتادة الى ما كانت من اماتتها وتعفية اثر ضمانها واضاف الى ذلك تبرعاً من نفسه ابطال ضمان الهريسة والجبن واللبن ورسم بكتب منشور يقرأ على كافة الناس بابطال هذه الرسوم جميعها وتعفية ذكرها . قال السبكي وقد علم ان المكوس حرام فان ضم الى اخذها الاجحاف في ذلك وتشديد الامر فيه والعقوبة عليه فقد ضم حراماً الى حرام.

ومع كثرة احتياج البلاد للمال زمن نور الدين وصلاح الدين للاستعانة به على

(١) كتاب الروضتين في اخبار الدولتين لشهاب الدين المقدسي .

قتال الصليبيين كانت الجباية الى الرقى في الجملة ببلاد الشام فاطلق نور الدين المكوس والضرائب واكتفى بالخراج والجزية . وكان هذان الملكان من ازهد الناس فلم يخلفا في خزائنهما الا التافه وقد خلف الملك العادل ابو بكر بن ايوب اخو الملك الناصر صلاح الدين يوسف في خزائنه -وكان يحب ادخار المال ليصرفه حين الحاجة - سبعمائة الف دينار وخلف الملك الافضل ستمائة الف الف دينار عيناً ومائة وخمسين اردباً دراهم نقد مصر ومائة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مائة مثقال في عشرة محابس في كل محبس عشرة مسامير وصندوقين كبيرين فيهما ابو ذهب برسم الجواري والنساء عدا الثياب والطرائف والقطعان والخيل والبغال والرقيق . وهذا ما لا يمكن ان يحوزه ملك صغير الا بالضغط على الرعية ولو قليلاً لاستخراج هذه الاموال والتوقف في صرفها على مصالح الامة ومرافقها .

ولم نعثر لدمشق عاصمة البلاد على ارتفاع لها خاصة وقد قال ابن ابي طي :[1] حدثني كريم الدولة ابن شرارة النصراني وكان مستوفي دار حلب يومئذ انه عمل ارتفاع جلسة سنة تسع وستمائة في الايام الظاهرية دون البلاد الخارجة عنها والضياع والاعمال فبلغ ستة آلاف وتسعمائة الف واربعة وثمانين الفاً وخمس مائة درهم . قال ومما احطت به علماً في ايام الملك الناصر ان ارتفاعها على القاعدة في الارتفاع في آخر دولته مع حلوله بدمشق وخلوها منه كان على ما يفصل ثم فصل الارتفاع فكان ستة واربعين صنفاً وسطر المجموع بـ ٧٠٣٠٥٠٠٠ درهم . وكانت مسافة ما بين مالك حلب في ايامه وهو الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي من المشرق الى المغرب مسيرة خمسة ايام ومن الجنوب الى الشمال مثل ذلك ومنها ثمانمائة ونيف وعشرون قرية ملك لاهلها ليس للسلطان فيها الا مقاطعات يسيرة ونحو مائتي قرية ونيف مشتركة بين الرعية والسلطان. قال ياقوت الحموي :اوقفني الوزير الصاحب القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم الشيباني القفطي ادام الله تعالى ايامه وختم بالصالحات اعماله وهو يومئذ وزير صاحبها ومدير دواوينها على الجريدة بذلك واسماء القرى واسماء املاكها وهي بعد تقدم برز من خمسة آلاف فارس مزاحي العلة موسع عليهم قال لي الوزير الاكرم ادام الله تعالى علوه:

(١) تاريخ ابن الشحنة ومعجم ياقوت .

لو لم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من أعيان المفاريد لقامت بارزاق سبعة آلاف فارس لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على ألف فارس يحصل للواحد منهم في العام من عشرة آلاف درهم الى خمسة عشر ألف درهم ويمكن أن يستخدم من خواص الامراء ألف فارس وفي أعمالها احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحفظيها خارجاً عن جميع ما ذكرناه وهو جملة أخرى كثيرة ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عنباً وحبوباً ما يقارب في كل يوم عشرة آلاف درهم وقد ارتفع في العام الماضي وهو سنة ٦٢٥ من جهة واحدة وهي دار الزكاة التي تجبى فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع سبعمائة ألف درهم وهذا مع العدل الكامل والرفق الشامل بحيث لايرى فيها متظلم ولا متهضم ولا مهتضم وهذا من بركة العدل وحسن النية اه .

ومن هذه النقول تعرف درجة الجباية والثروة في تلك العصور ولما قبض الاتراك والجراكسة على زمام الاحكام في الشام في القرون السابع والثامن والتاسع كانت المكوس كثيرة جداً وزادوها هم وتفننوا في ضروبها حتى صعب احصاؤها وحفظها وكانت الخمور في سنة ٦٤٣ مضمنة والمكوس شديدة وابطل الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٥ ضمان الحشيشة وامر باحراقها والغالب ان بعض الملوك لم يكونوا يستنكفون من اخذ الضرائب عن الخمور والمكيفات بل تعدوا ذلك في تلك الحقبة من الزمن الى اخذ الرسوم عن البغايا والمواخير فقد ابطل الظاهر برقوق في جملة ما ابطل من المظالم والمكوس في بر الشام ضمانة المغاني اي المغنين والمغنيات في الكرك والشوبك وضمان المغاني كان معروفاً في مصر فأبطل سنة ٧٧٨ زمن الاشرف قلاوون ابطله من جميع أعمال مملكته وكان عبارة عن مال كثير مقرر على المغاني من رجال ونساء يؤدونه كل سنة الى الخزانة وابطل الناصر قلاوون ضمان المغاني ايضاً وهو عبارة عن اخذ مال من النساء البغايا وذلك لو خرجت اجل امرأة تقصد البغاء ونزلت اسمها عند امرأة تسمى الضامنة واقامت بما يلزمها من القدر المعين عليها لما قدر اكبر من في مصر ان يمنعها عن البغاء وعمل الفاحشة وكان يتحصل من ذلك جملة كثيرة من المال .

لا جرم ان دولة الترك والجراكسة في مصر والشام تشبه في كثير من الوجوه

دولة الترك العثمانيين التي جاءت بعدها وكانت مراسيم ملوكها تصدر الحين بعد الآخر بابطال بعض الرسوم والضرائب ولكن مع هذا تجد من الامراء من كانوا يصادرون على ملايين من الدنانير دع سائر اسباب الثروة من ناطق وصامت . والدولة التي تخفف عن رعاياها بالاقوال والافعال على خلاف ذلك هي دولة سيئة ادارتها المالية فقد كان الملك المؤيد شيخ كثير المصادرات للرعية وهو الذي قطع دابر النواب العصاة الذين اخربوا غالب البلاد الشامية واحدث في أيامه اشياء كثيرة من ابواب المظالم لما كان يخرج الى التجاريد . والخروج الى التجاريد او الحملات كان من جملة الاسباب التي تهيأ لملوك الجراكسة ليسلبوا الناس أموالهم ولا تكلفه التجريدة اقل من نصف مليون دينار فاذا جرد السلطان في حياته عشرين تجريدة كان المصروف من ذلك في هذا السبيل عشرة ملايين لا تصل الى خزانة السلطان حتى يجبى مثلها من الرعايا المساكين .

ومن جملة ما ابطلوه في ادوار مختلفة من الرسوم وهو ما نورده مثالاً من حالة تلك الايام ما ابطله برقوق مما كان متقرراً على البردارية في كل شهر من المال وما كان يأخذه السماسرة على الغلال والكيالة وعن الملح في عين تاب وعلى الدقيق بالبيرة وما كان مقرراً لنائب طرابلس عندما يتولى على كل قاض من قضاة البر والولاة بغلة او ثمنها خمسمائة درهم . وابطل المنصور قلاوون من جملة ما ابطل من المظالم وظيفة ناظر الزكاة وهو ان يؤخذ ممن عنده مال زكاته فان مات الرجل صاحب المال او عدم ماله يبقى ذلك القدر المقرر عليه في الدفاتر يؤخذ من اولاده او من ورثته او من اقاربه ولو بقي منهم واحد . وابطل الاشرف صلاح الدين ما كان يؤخذ على كل حمل يدخل باب الجابية بدمشق من القمح خمسة دراهم من المكس بل ابطل المكوس والضرائب عن سائر اصناف الغلة بجميع الشام وكان ذلك جملة تخرج عن الاحصاء . وتجد الى اليوم على السواري الاربع القائمة في مدخل جامع بني أمية بدمشق من الغرب اربع وثائق في ابطال المكوس كتبت كل وثيقة على سارية تاريخ الاولى سنة ٨٦٣ على عهد قايتباي الحمزاوي كافل الممالك الشامية ابطل بها الرسم المقرر على الاسواق والطواحين وغيرها من المكوس بدمشق . والثانية كتبت سنة ٨١٥ وهي مما امر به الظاهر ابو سعيد بن جقمق بابطال المكوس على الاقمشة الحمصية وفرع الاردية وفرع القطن وغيرها والثالثة بتاريخ

سنة ٨٥٢ تقول بانه ورد موسوم شريف من مولانا السلطان الملك الظاهر ابو سعيد جقمق بابطال بعض المكوس ومنها التمر والعفص والسمك البوري والحنا والقماش المصري . قال وهذا في صحائف الدولة العادلة ا والرابعة فيها ذكر القلي والخروع والقلقاس وجلود الجواميس والماعز .

وكانت العادة ان تنقش على الرخام صورة الامر الصادر من الملك في رفع مثل هذه المظالم فنقش الملك الظاهر ابو سعيد ططر رخامة والصقها على باب الجامع الاموي في هذه المدينة بابطال ما كان لنائب الشام على المحتسب في كل سنة وكذلك ابطل في القدس ما كان يجبى لنائب القدس في كل سنة من المال ونقش ذلك على رخامة والصقها بباب الجامع الاقصى وابطل ايضاً ما كان مقرراً على أمير مكة واعيان التجار من التقادم للامراء اذا حجوا واعيان الدولة وفي سنة ٧٤٦ كتب على باب قلعة حلب رغيرها من القلاع فقرأ في الحجر ما مضمونه : مسامحة الجند بما كان يؤخذ منهم لبيت المال بعد وفاة الجندي وذلك احد عشر يوماً وبعض يوم في كل سنة وهذه مسامحة بمال عظيم وكتب بالمسامحة بمثل ذلك على حائط قلعة طرابلس وهـــذا التفاوت ايام الدوران ما بين السنين الشمسية والقمرية[1] وكثيراً ما كان يصدر الامر في زمن الجراكسة بجمع الذهب اذا قل أو الفضة وتسليمها الى الملك ليضرب بها سكة ونقوداً وكثر في ايامهم غش الفضة حتى كان سعر الدرهم ينزل كثيراً ويصاب الناس في الشام ومصر بخسائر فادحة وكثيراً ما كانوا يخسرون ثلث اموالهم لان بعض ملوكهم كانوا يغشون الفضة وينزلون عيار الذهب فكانت المصيبة بالفضة والذهب لعهدهم كالمصيبة بالاوراق النقدية لعهدنا كل يوم في ارتفاع وانخفاض. ولاعجب فقد كانت الدول بعد عصر صلاح الدين وآله في هذه الديار تتخبط بدون قاعدة مستقرة والدول التي ينصب لها ملك وهو لم يبلغ الحولين ويتولى المماليك امره لا يصدر منها اكثر من هذا كما وقع في سلطنة الملك المظفر ابي السعادات احمد بن الملك المظفر فاركبوه فرس النوبة وهو ابن سنة وثمانية اشهر وسبعة ايام وهو يزعق من البكاء ومشت قدامه الامراء حتى دخل القصر الكبير وهو في حجر المرضعة وقبلوا الارض امامه ولما دقت الكوسات بهت الطفل وصار احول العين .

للكلام صلة

(١) تاريخ ابن الوردي .

حقائق تاريخية
عن دمشق وحضارتها[1]

توطئة في بلاد الشام وسورية – دمشق – اسماء دمشق واشتقاقها – سكانها واجناسهم – حضارتها وعمرانها .

١
توطئة في بلاد الشام وسورية

يابلادي وانت خير البلاد نلت خصباً في كل سهل ووادي
فيك اغنت يد الطبيعة شعباً من قديم فنال كل المراد
ساعدتها يد الصناعة دهراً فأرتنا ثمار حسن اجتهاد
ثم دالت بنا صروف الليالي فكمنا كالجمر تحت الرماد
فاستعيدوا نجاحكم باجتهاد واتحاد لاجل خير البلاد

ان قطر الشام العزيز منسوب الى سام (اسم[2]) ابن نوح (راحة) فقيل في اسمه الشام لان السين والشين تتبادلان في اللغات الشرقية الشقائق. ولما اشتهر بثغره الذي كان مدينة صور (صخر) سمي سورية نسبة اليها. وقيل ان اليونانيين افتتحوه فرأوا الاشوريين يتولون شؤونه فنسبوه اليهم وقالوا (اشورية) ثم حذفت الهمزة وابدلت الشين سيناً فقيل فيها (سورية) واول من ذكرها بهذا الاسم هيرودوتس المؤرخ اليوناني وبقي الاسمان متعاقبين الى يومنا . على ان الشام اكثر استعمالا لقدمها والافرنج يستعملون الثاني منهما .

وكانت سورية تقسم بحسب موقعها الطبيعي الى ثلاثة اقسام (اولها) سورية الشمالية وهي تبتدىء من جبال طوروس شمالا وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن

---

(١) المحاضرة التي القاها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف احد اعضاء مجمعنا في ردهة المجمع مساء الجمعة في ٢٧ تشرين اول سنة ١٩٢٠ على نخبة العلماء والادباء وطلبة العلم .
(٢) وضعنا معاني بعض الاسماء بين هلالين تتمة للفائدة .

امهات مدنها انطاكية وحلب وحماه و(ثانيها) سورية المتوسطة وهي التي أطلق عليها الكتبة المتأخرون اسم سورية المجوفة تعريب كلمة Coelé - Syria والأولى ان يقال في تعريبها وادي سورية كما قيل وادي النيل في ارض مصر ووادي الرافدين اي الفرات ودجلة في العراق. وهذه تبتدىء من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً ومن امهات مدنها الداخلية دمشق وتدمر وبعلبك وحمص . ومن امهاتها الساحلية طرابلس وجبيل وبيروت وصيداء وصور. و(ثالثها) سورية الجنوبية وهي مابقي من سورية ويدخل فيها ماعرف قديماً باسم بلاد كنعان (المنخفض) او فلسطين (المتغربين) وسميت بعدذلك بأرض الميعاد والارض المقدسة واشهر اسمائها اليوم فلسطين عند العرب والافرنج وتمتد من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً ومن مدنها الداخلية اورشليم او القدس الشريف وحبرون اي الخليل والناصرة وطبرية ونابلس ومن الساحلية عكاء وحيفا ويافا وغزة والعريش .

ومعدل طول هذه البلاد جمعاء من الشمال الى الجنوب نحو سبع مائة كيلومتر وعرضها من الغرب الى الشرق نحو اربع مائة وخمسين فيكون مجموع مساحتها ١٠٩،٥٠٩ – اميال مربعة. وبلغ عدد سكانها في القديم من عشرة ملايين الى خمسة عشر مليونا واليوم لايتجاوز المليونين والنصف فمعدل سكانها ٢٥ نفساً في كل ميل مربع . ولقد حددها الشيخ عبد الغني النابلسي قدس سره بقوله :

وحد الشام طولاً من عريش ... الى ارض الفرات المستجاد
ومن جسر المسيح يقال عرضاً ... الى طرسوس للبلد المراد
ومن يافا كذاك الى معان ... فشام كل ذلك من بلاد

وقيل لسكان هذا القطر الآراميون تغليباً نسبة الى آرام (المرتفع) وهو ابن سام ابن نوح الذي اشتهرت فيه قبائله ولاسيما أنها كانت آخر سكانه القدماء عند فتح اليونانيين فبقي اسمهم متداولاً . ولكن اليونانيين والرومانيين سموا القسمين سورية. والعرب جاروهم بذلك ثم غلبوا اسم الشام. ومما يؤثر عن هذا القطر ان الملك هرقل لما غادر انطاكية الى القسطنطينية على اثر فتح العرب في عهد خلافة الامام عمر بن الخطاب (رضه) ودع البلاد بلغته اليونانية قائلا (سوزه سورية) اي كوني بسلام ياسورية. وكانت عاصمتها منذ القديم دمشق .

٢
دمشق

ان مدينة دمشق هذه موضوع الكلام في هذه المحاضرة هي اقدم مدن سورية لان القبائل التي هاجرت الى هذه البقاع اقامت اولاً في هذه الانحاء لتوفر خصبها بكثرة مياهها ثم تفرقت وسترون فيما يأتي ادلة قاطعة تثبت قدمها. حتى ان استرابون المؤرخ ذكر مغاورها في العصر الظراني (الحجري) ولا تزال آثارها فيها وحولها فلهذا كانت هذه المدينة العريقة في القدم اشهر مدن سورية وافخمها آثاراً (ماعدا مدينة بعلبك) واوفرها خصباً واغناها خيرات واكثرها متنزهات واغزرها مياهاً. ولقد ذكرتها آثار قصر الكرنك المحفورة على جدرانه في مصر منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد ثم مراسلات تل العمارنة بعد قرنين كما ذكرتها التوراة وكثير من الكتب التاريخية القديمة.

وعلوها عن سطح البحر الرومي الفان ومائتان وستون قدماً وموقعها في مستوى من الارض يشرف عليها جبل قاسيون المعروف بجبل الصالحية نسبة الى الصالحين الذين هم من بني (جماعة) من الكنانيين النابلسيين المنتسبين الى مسجد ابي صالح[١] خارج الباب الشرقي منها لنزولهم فيه وانتسابهم اليه ثم لانتقالهم الى سفح ذلك الجبل الذي نسب اليهم وبقيتهم هي اليوم آل النابلسي عندنا. وعلو قاسيون ٣٧٠٧ اقدام. ويشرف عليها ايضاً من الغرب الجنوبي جبل الشيخ المعروف قديماً بجبل حرمون (القمة العالية) وعلوه — ٩٤٠٠ - قدم وهو يوطب جوها بنداه البايل المحمول على اجنحة النسيم وحولها الغوطتان الشرقية والغربية وهما من متنزهات الدنيا الاربعة لانها حدائق رائعة وجنان غناء واشجار غبياء ينساب فيها نهر بردى (البارد أو الودي) وينضم اليه نهر الفيجة (الينبوع) فيدخل المدينة ويتوزع عليها انهراً سبعة بهندسة بديعة فيروي جميع الارض التي حوله والمدينة بجميع احيائها ولذلك سماه اليونان

---

(١) ان مسجد ابي صالح قديم كان يلزمه ابو بكر بن سيد حمدية الزاهد وقيل انه جدده ثم خلفه فيه ابو صالح صاحبه فنسب اليه ولما حوصرت قرية جماعيل النابلسية في ايام الحروب الصليبية ترك آل جماعة هؤلاء بلادهم وهاجروا الى دمشق فنزلوا فيه كما مر

بلغتهم مجرى الذهب (Chrysorrhoas) لخصب ارضه وبه لقب يوحنا الدمشقي من قدماء العلماء الدمشقيين الذين نبغوا في ايام الدولة الاموية لفصاحته .

والمدينة مسورة بسور عظيم منيع ذات ابواب حديدية ضخمة وبقي سورها وابوابها الى زمن ابراهيم باشا المصري (١٨٣١ - ١٨٤٠م) فسلمه السكان مفاتيح المدينة عندما فتحها ودخل من بوابة الله مع حاكم لبنان الامير بشير الشهابي الكبير وولده الامير خليل وأمن الاهلين وكانت قلعة دمشق قديمة ومحصنة ولها سور حولها وخندق يردعنها الغارات فجددت في العصور المتوسطة ولاتزال أبنيتها ماثلة في غربي المدينة .

ولقد جمعت اسماء المؤلفات في هذه المدينة مما سمي باسمها فكانت اكثر من خمسين واكبرها تاريخ ابن عساكر المشهور وهو من مخطوطات المكتبة الظاهرية الشهيرة طبع منه خمسة مجلدات مؤخراً مختصرة مفيدة ورأيت في كثير من تلك المؤلفات وصف تاريخ الشام ودمشق وعمرانها وحوادثها . ولكن كل واحد نقل عمن قبله في الغالب دون تمحيص وتحقيق فتكرر الكلام والخطأ وخبط الباحث في تفسير الاعلام وبقي الاشكال غامضاً فحبذا لو اعتمدنا على فلسفة التاريخ ودرسنا علم الآثار القديمة او العاديات ومعارضة اللغات واشتقاقها فان في ذلك مغنماً للمؤرخ يحقق فيه الآراء ويصحح النقول فيعتمد الآتون على اقواله . ولله در لوقيان القائل : « من العيب العظيم في التاريخ ان لا تفرق بين ما هو حقيقي ثابت وما هو خيالي واهن » . وياقوت الحموي الذي عقب على قول من تمحل لكلمة اصبهان وجوهاً غريبة في اشتقاقها (١ : ٢٧٠) بما نصه : « وما اشبه قوله هذا الا باشتقاق عبد الاعلى القاص حين قيل له : لم سمي العصفور . قال : لانه عصى وفر . قيل له : والطفيشل . قال : لانه طفا وشال — اهـ » .

فرأيت في اول محاضرة انتدبت لا لقائها على منبر هذه الردهة بعد استعادتي الى هذا المجمع العلمي ان اتخذ تاريخ دمشق موضوعاً لي ممحصاً على قدر ما فسح لي الوقت ووصل اليه الذرع بعض ما كان مستوراً بحجاب الاهمال في تحليل الاسماء والتعليل عن الحوادث . على انني لم اتعرض الا لتحليل الاعلام الاعجمية في كلامي لغموض اشتقاقها عنا . تاركاً الاعلام العربية لاننا ندركها بالبداهة . راجياً من لطفكم ايها الكرام الاغضاء عن الهفوات . فليس ما تسمعونه الآن من الآراء

الحديثة في التاريخ الا تنبيهـــاً الى البحث والتنقيب للتحقيق والتمحيص ليكون تاريخنا كاملاً مبنياً على الحقائق الراهنة والبراهين الدامغة . فلا تحملوه بارعا كم الله على غير حسن القصد والله حسبي .

٣

اسماء دمشق واشتقاقها

من الفوائد التاريخية الدالة على تحقيق بعض الآراء في التاريخ الصحيح تحليل الاسماء القديمة ومعرفة معانيها وأصول مبانيها فهي اشبه بالآثار القديمـــة في تأييد الحقيقة او التقرب منها على قدر الطاقة وعلى هذا أحلل الآن اسماء هذه المدينة وهي كثيرة ذكر منهـا القلقشندي المشهور في موسوعته (صبح الاعشى) المطبوعـة حديثاً ـ دمشق وجلق وحكى في الروض المعطار تسميتها جيرون والعذراء . . الخ

اولها الشام ـ ان هذا الاسم اقدم اسمائها لانه اسم أب الذين احتلوها واختطوها من اللوديين والاراميين كما سترى قريباً . وهو الغالب على السنتنا الى اليوم . ولا سيما عند العامة حتى انهم قلمـا يقولون (دمشق) .ومعنى سام بالعبرانية اسم فهو بلا شك اب الاسماء واسم اب الآباء الذين تديروها . ولقد ذكره النابغة الجعدي عند فتح هذه المدينة في أيام العرب وتعيير ابي الزهراء القشيري باصابة رجله في مواقعها. فقال النابغة يخاطب المعير :

فان تكن قدم (بالشام) نادرة [١]   فان بالشام اقـداماً وأوصـالا
وان يكن حاجب ممن فخرت به   فلم يكن حاجب عمـاً ولا خـالا

فتكون تسمية عاصمة الشام باسم بلاد الشام من باب تسمية الجزء باسم الكل مجازاً . وقال صاحب مراصد الاطلاع : مسجد الشام في بخـارى العجم . والشام موضع في بلاد مراد . والشام محلة في تبريز مشهورة وهو يدل على انتقال هذا الاسم مع سكان البلاد الذين حلوه في هجرتهم ورسموا به الاماكن التي نزلوها .

ثانيها دمشق ـ لقد أول المؤرخون هذا الاسم تآويل شتى والاقرب في هذه التسمية أنها لودية او أرامية (أي كلدانية او سريانية قديمة) ذكرتها آثار الكرنك وكتابات تل العمارنة باسم (تماسكو) باللغة الهيروغليفية (اللغة المصرية المقدسة)

(١) أي زالة وواقعة .

ومعنى الكلمة المزهرة او المثمرة تسميه بغوطتها الخصيبة . ولقد ذكرها كثير من العرب بهذا الاسم منهم ابو عبادة البحتري بقوله :

اما دمشق فقد ابدت محاسنها وقد وفى لك مطريها بما وعدا
اذا أردت ملأت العين من بلد مستحسن وزمان يشبه البلدا

ومن هذا الاسم اخذ اليونانيون كلمة Damascas وعنهم نقل الافرنج تسميتهم للمدينة وصناعاتها كما سيأتي :

واما قولنا (دمشق الشام) فليس الا تمييزاً لها عن غرناطة الاندلسية المسماة (دمشق الغرب او الاندلس) لان سكانها كانوا من طوارىء دمشق الذين ذهبوا اليها مع من ذهب الى الغرب فاختاروها واسكنا لهم لكثرة مياهها وحدائقها والجبل الثلج المطل عليها فكانت اشبه بمدينتهم الاصلية . ولكن ابن جبير الكناني الرحالة فرق بين الدمشقين بقوله :

يا (دمشق الغرب) ها تيك لقد زدت عليها
تحتك الانهار تجري وهي تنصب إليها

وورد اسمها مؤنثاً في شعر عبد الرحمن بن صهيل لما حاصر عسكر يزيد بن ابي سفيان هذه المدينة بقوله :

فبلغ أبا سفيان عنا باننا على خير حال كان جيش يكونها
وأنا على بابي (دمشقة) نرتمي وقد حان من بابي (دمشقة) حينها

الثالث جلق - لقد غمض اشتقاق هذه الكلمة عن كثيرين فلم يهتدوا إلى اصله والذي اراه (إما انها) يونانية تحريف Jinic ومعناها امرأة وكان فيها كنيسة بهذا الاسم ذكرها ابن عساكر وغيره ولعلها كنيسة باسم مريم ام المسيح (عيسى) وقرب الكنيسة باب الجنيق المسدود في زمن ابن عساكر . فقيل (جنيّق) ثم بالابدال (جليّق) و (إما انها) فارسية من كلمتين هما (كل) اي زهرة او وردة و (لك) بمعنى مائة الف فيكون مجمل معناها مائة الف زهرة اشارة الى غوطتها ثم عدلوا عن الضم في اولها الى الكسر واتبعوا اللام للتخفيف فقالوا (جلق) .
وعلى هذا الرأي تكون من تسمية الفرس الذين امتلكوها في القرن السادس للميلاد ولذلك كانت شائعة في زمن حسان بن ثابت الانصاري فذكرها بهذا الاسم في قصيدة وصف بها آل جفنة الغساسنة حكام دمشق اذ ذاك :

لله درُّ عصـــابة نادمتهم يوماً (بجلق) في الزمان الاول
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

وأما البريس او البُرَيص الذي ذكره حسان هنا فهو اما متنزه او قصر وربما كان محرفاً عن كلمة baradisos اي براذيسوس اليونانية ومعنـــاهاالمتنزه او الفردوس . وكان البريص يسمى ايضاً المقسلاط وهو موضع النحاسين الآن.ولعل اسم بردى من هذه الكلمة وقال في مراصد الاطلاع : (جلق) ناحية بسرقسطة بالاندلس يسقي نهرها ٢٠ ميلاً وقيل واد شرقي الانـدلس . ثم قال : (جليقية) ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمال لاندلس في اقصاه من جهة الغرب. (اﻫ) . وهـذا دليل آخر على حمل الدمشقيين لهـــذا الاسم معهم الى الاندلس تحبباً وحنيناً الى الوطن .

الرابع جيرون ـ اطلقه بعضهم على المدينة من باب تسمية الكل باسم الجزء مجازاً لانه من ابواب جامعها الكبير ايام كان هيكلاً لليونانيين فالكلمة يونانية Jiron بمعنى فناء الدار او الهيكل ومنها اسم فناء الكنيسة او سورها عند الافرنج اليوم . وكان اسم جيرون للبـاب الشرقي من ابواب الهيكل وهو المعروف اليوم بباب النوفرة .ولا تزال آثار السور الذي كان يحدق به ظاهرةفي الزقاق الذي على يمين لداخل الى الجامع من ذلك الباب وهو الموصل الى الظاهرية . وحول الباب عمودان ضخمان يدلان على عرض السوق في ذلك العهد وكانت الاروقة قائمة على هذه الاعمدة اسير الناس والسوق بينها للعجلات والحيوانات.وحوله كتابات يونانية على يمين الداخل فيموضعين [١] . وعلى اليسار حانوت صغير فيه باب على اسكفته (عتبته العليا) نقوش بديعة يدل على ان الارض قد ارتفعت عن مساحة ارض

---

(١) في ربيع سنة ١١١١ . كنت في دمشق فرأيت كتابة في بيت ابي عثمان الحموي في القيمرية بجوار البئر الذهبي على يمين الداخل الى الجـامع من باب النوفرة (جيرون) ظهرت في الجـــدار الغربي عند ترميم البيت وهي يونانية تدل على ان تلك الغرفة بناهـــا مينودورس الابن الاصغر لزينوفوس امين صندوق الهيكل . وهناك حروف غير ظاهرة. وفي بيت الدردري على يمين الباب في اول بيت كتابة يونانيـــة وراء الدرج الذي يؤدي الى البيت . وكذلك في بيت السمان في القيمرية كتابة اخرى يونانية .

الشارع القديمة الى اكثر من نصف الباب علواً : ومثلها الى شرقي الجامع عند باب البريد ثلاثة اعمدة عليها طنف وكثيراً ماذكر الشعراء باب جيرون فقال بعضهم فيه :

باكر (دمشق) بمشق اقلام الحيا زهر الرياض موصعاً ومكللا
واجرر (بجيرون) ذيولك واختصص مغنى تـأزر بالعلى وتسربلا

وقال بعضهم ان اصل جيرون فارسي تعريب (جروند) بمعنى السراج وهو بعيد كما لا يخفى .

ومن اغرب ما وصفت به جيرون قول صاحب مراصد الاطلاع : جيرون سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف حولها مدينة تطيف بها وهي بدمشق في وسطها كالمحلة . وقيل جيرون قرية الجبابرة في ارض كنعان (ا هـ) .

قلت واما جيرون فلسطين فلم نر لها اثراً في ما وصلت اليه يد البحث ولكننا نظن انها تصحفت على المؤلف فالاولى ان تكون هي (حبرون) المسماة قرية اربع بل مدينة اربع وتعرف اليوم باسم (الخليل) .

الخامس اسماؤها الأخر - سميت دمشق باسماء أخر كثيرة نشير اليها تتمة للبحث فسماها يوليانوس الروماني (عين الشرق كله) لعمرانها . ومن اسمائها العربية (إرم ذات العماد) وانكر ذلك كثير من المؤرخين وقالوا ان اسم إرم هو للقبيلة لا للمدينة والذي اراه ان العرب لما رأوها كثيرة الاعمدة وعرفوا شأن الاراميين فيها سموها (مدينة ارام ذات العماد) ثم حذفت كلمة مدينة وعربت ارام الى إرم ومنها (عاصمة أرام) و (أرام دمشق) تمييزاً لها عن (أرام صوبة) في وادي سورية . و (مدينة العازر) وهو خادم ابراهيم الخليل المنسوب الى دمشق. و (بيت رامون) نسبة الى هيكلها الذي كان باسم الاله رامون اللودي ومنه اسم برمانة في ظاهر دمشق . و (حاضرة الروم) و (حصن الشام) و (بيت ملكهم) و (باب الكعبة) و (فسطاط المسلمين) و (العذراء) ولعلها نسبة الى مريم العذراء التي فيها كنيستها القديمة المعروفة بالمريمية او انها تعريب كلمة جنيق بمعنى العذراء كما مر آنفاً . و (قاعدة وادي سورية) المعروفة بسورية المجوفة في اصطلاح مؤرخينا الآن. ومن القابها (الفيحاء) لاتساعها و (الغناء) لالتفاف اشجارها الكثيفة و (جنة الارض) لكثرة حدائقها وغزارة مياهها .

وفي تسميات احيائها وضواحيها اشتقاقات تكشف القناع عن وجه كثير من الحقائق

الغامضة التي يتحملها المؤرخون ويتكهن بها اللغويون . فمن اللغة الفينيقية (دمّر) وهي تحريف (دامور) أو (تامور) أو (تامار) وهو عندهم الاله الحامي فكأنهم اتخذوا حصناً له فيه تمثاله للدفاع عن المدينة التي كانت محطة لتجارتهم الشهيرة و (بلاط) تحريف بعل باليت .وفي جبل القلمون قرية فليطة وهي من هذا الاشتقاق .

والاسماء الآرامية أكثر من غيرها مثل (بيت لهيا) أي بيت الآلهة و (المعرة) بمعنى المغارة

ومنها الحثية مثل (الشاغور) بمعنى الصغير . (وقطنا) تحريف (كتنا) وهو اسم الحثيين وكذلك (الغوطة) فانها تحريف (الكتنة) واليبوسية مثل (يبوس) و (كفريبوس) نسبة الى اليبوسيين من الكنعانيين. و (جديدة الجوش) نسبه الى الجرجاشيين منهم أيضاً .

واليونانية مثل (بلاس) بمعنى قصر . و (بيت اورانس) أي بيت السماء وهي الآن اطلال خربة . و (عين ترما) أي الحمة وهي العين الحارة المياه. و (افتريس) تحريف (فاراتويس) أي ضارب الاعداء ومبددهم وهو من أسماء المشتري . و (الفيجه) وهي تحريف (پيجه) اليونانية بمعنى الينبوع . و (مقرا) من متنزهاتها أصلها يوناني (مكرا) بمعنى المستطيلة . و (نهر ثورا) أي نهر النظر في اليونانية وقيل انها باسم حكيم اسمه (ثورا) أو نسبة الى تاج الملك ثوري[١] .

والرومانية مثل جبل « القلمون» بمعنى المناخ أي جودة الهواء . و « بانياس» من بان اله الغابات وهو من أسماء أنهارها اليوم .

والعبرانية « المزة » وهي باسم حفيد عيسو ومعناه « الخوف » أو هي يونانية بمعنى التلة أو الربوة وقيل عربية تحريف « المتنزه »

والفارسية «جوبر» من جويبار بمعنى مسيل النهر الصغير .

وذكر ابن عساكر كثيراً من أسماء القرى العربية مثل «صنعاء» وهي خربة الآن دون المزة مسماة باسم « صنعاء اليمن » العربية . ومثلها قرية « الحميريين » الخربة وفيها مسجد كان مشهوراً وهذا من الأدلة على أن اليمنيين تديّروها .

---

(١) هو زوج زمرد خاتون أم شمس الملوك اخت الملك دقاق توفيت سنة ٥٥٧ هـ «١١٦١م» وهي مؤسسة المدرسة الخاتونية البرانية في دمشق المنسوبة اليها .

اخبار وافكار

المرحوم الاستاذ نخلة زريق

فجع مجمعنا بفقد عضو من أعضاء الشرف فيه كان معروفاً بآدابه وأخلاقه وغيرته على اللغة فاقترحنا على صديقه صاحب التوقيع أن يكتب كلمة عنه فلبى فنشكر له حفاوته به . وهذا ما كتبه الينا :

أرى من الواجب علي وقد عاشرت المرحوم سنة كاملة في تعريب كتب وتهذيب أخرى أن أقضي حقه بعد وفاته ولقد سعيت ان استقصي آثاره من محبيه في القدس فكان منهم الوعد الجميل ولكن لم أزل الى اليوم شيئاً . ففاوضت الاستاذ عيسى أفندي اسكندر المعلوف أحد أعضاء المجمع لما كان في وطنه زحلة فأرسل الي ترجمته منقولة من كتابه (الدر الثمين في تراجم أدباء القرن العشرين) فضممتها الى ماعرفته عن الفقيد وكتبت هذه العجالة : كان المرحوم عربياً بحتاً في أصله وفي لغته وفي زيه وفي وطنيته . واما الاصل فهو كما ذكر في (الدر الثمين) الموما اليه من أسرة زريق القديمة في سوريا وهي تنتمي الى عرب الزريقات الذين يخيمون اليوم في الكرك وضواحيها والمعروفين في ثغور سورية ولا سيما طرابلس وما اليها منذ القرن السادس للهجرة . وهي فرعان مسلم ومسيحي . فمن المسيحي بطون لأسرة زريق في طرابلس وموسين . ونشأ منهم فخذ في بيروت في محلة مزرعة العرب (ولعلها نسبت اليهم) عرفوا بالبسالة ومن هؤلاء تسلسل المترجم :

هو نخلة بن جرجس زريق ولد في بيروت نحو سنة ١٨٥٩م . ودرس في مدارس طائفته الارثوذكسية فأتقن العربية وألمّ بالانكليزية وحضر مجالس كبار رجال النهضة الحديثة في بيروت فنبغ في لغته التي كان ضليعاً فيها قل من يباريه حافظاً للقرآن والحديث واشعار العرب وامثالها وحوادثها لايمر به كلمة لغوية الا ويستشهد لها اما بآية أو حديث أو شعر أو مثل . وله رسائل كثيرة عند اخوانه وهي في اسلوب عربي متين . وتركيب رصين لايرى فيها لكنة أعجمي ولا لحن عامي . ولو جاز أن أذكر شيئاً مما كتب لاخوانه الذين لم يزالوا أحياء يرزقون

لذكرت له من البدائع فنوناً . ولم أرو له مع الاسف من شعره شيئاً . لأن له نظماً رشيقاً .

اما زيه فكان العربي لا يستعيض عنه ولو باحسن الازياء مع انه نشأ في بيروت حيث تكثر الازياء الغربية وعاشر الاوربيين مدة طويلة ولم يغير ذلك شيئاً من مبدئه .

ولقد مال الى اتقان فن التدريس واشتهر باسلوبه المفيد وقضى نحو ربع قرن في الكلية الانكليزية المخصصة لتدريس المعلمين في القدس محتكاً بارباها الراقين نائلاً لديهم منزلة عالية فتخرج عليه مئات هم اليوم من صفوة الادباء والوجهاء والعمال فقام بعمله احسن قيام .

ولما كانت الحرب الكبرى أبعد الى دمشق وبقي فيها الى زمن الاحتلال الاول فانتخب عضواً في لجنة التهذيب للكتب العسكرية في المدرسة الحربية وكان زميلنا فيها الشيخ عبد القادر المبارك . فعرفت الفقيد ملتفاً بعباءته لم يهمه ان يكون بين يدي رئيس الاركان الحربية او بين يدي القائد الاعظم فلا يخرج عن عباءته فخدم عمله هذا بكل اجتهاد وحنكة وبعد سنة ترك العمل وعاد الى القدس مدرّساً حيث كان فاسفنا لبعده كل الاسف .

اما الوطنية العربية فكان فيها من رجال العقل والحكمة لا من رجال الخيال والتهور . وكان قليل الكلام فيها حتى اذا آنس من بعضهم كتماناً ابدى آراءه الحكيمة فيها . واما الدين فكان متصلباً فيه لكنه غير متعصب . فلا ينظر الى الاديان الا نظر حرمة . وقد كان براً بخلق الله على اختلاف نجارهم ونحلهم . يحب ان يعاون حتى اعداءه . ويحسن حتى الى من اساء اليه .

وهكذا صرف حياته عالماً عاملاً الى ان توفي عازباً غريباً في القدس الشريف بداء المعدة الذي كان مبتلى به وذلك في ٢١ تموز سنة ١٩٢١ عن نحو ٦٢ سنة انفقها في خدمة العلم والمدارس والتربية والمطالعة ودفن فيها بموكب مهيب وحفلة تليق به وقد اسف عليه كل من عرفه لما اشتهر به بينهم من الآداب الرائعة . وكان طويل القامة رقيق الجسم أشقر اللون قد وخطه شيب رحمه الله وعزى الادب بفقده .

دمشق : رشيد بقدونس

مطبوعات حديثة

كتاب نفيس في علم الفرائض

أهدى الينا حضرة الاستاذ الفاضل السيد عبد المجيد افندي المغربي من افاضل علماء طرابلس الشام كتابه المسمى (بالمنهل الفائض في علم الفرائض) فتصفحناه فوجدناه من امتع الكتب المؤلفة في هذا الفن قريب التناول لسهولة عبارته وفصاحتها وقد امتاز عن غيره في بابه بما يسهل به طريق قسمة التركات بطريقة الكسر العادي التي لم تذكر في كتب الفرائض وهي طريقة سهلة بالنسبة الى ما كان مستعملاً قبلاً في تصحيح الكسر فنحض من يرغب الوقوف التام على هذا العلم النفيس على اقتنائه ونشكر حضرة المؤلف على هديته الثمينة .

ديوان حليم

وقفنا على ديوان الشاعر العصري حليم افندي دموس المطبوع ثانية فوجدناه متقن الطبع والنظم والترتيب مصدراً بمقدمة في اقوال الافرنج والعرب في تعريب الشعر والشاعر ثم اورد بعدها قصائده ومقاطيعه الرشيقة والديوان مطبوع في القدس في ٣٠٤ صفحات بقطع ربع . فنشكر للناظم هديته اللطيفة ونحث الشعراء على اقتنائه .